

مدينة القنوات... تاريخ يروي حضارة جبل العرب



لورا محمود

من أقدم مدن محافظة السويداء السورية وأكثرها أهمية. تعتبر متحفاً أثرياً طبيعياً لما فيها من معالم وأوابد أثرية مهمة. حيث تعتبر آثارها من أعظم آثار منطقة جبل العرب. إنها مدينة القنوات، أغنى المدن الأثرية التي ازدهرت فيها الحضارات المختلفة التي مرت على سورية.

التسمية والموقع

منذ العصور الحجرية الوسيطة والحديثة، أي منذ حوالي 4000 إلى 12000 سنة قبل الميلاد، سكن الإنسان القديم هذه المنطقة، واستقرت فيها مختلف الموجات القادمة من شبه الجزيرة العربية، ومن أكاد، أمور، كنعان، آرامية، آشور، بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد. ثم تعرّضت للغزو السلوقي والبطلمي ثم الروماني والبيزنطي بدءاً من القرن الرابع قبل الميلاد، إلى أن جاءت الفتوحات العربية الإسلامية عام 635 ميلادياً.

هذا الموقع الجميل يتوغل في أعماق السويداء ويبعد عنها حوالي سبعة كيلومترات في الجانب الشمالي الغربي من كتلة جبل العرب، وعلى ارتفاع 1250 متراً عن سطح البحر. ورد اسمها القديم في المصادر الدينية والتاريخية «كانانا»، وفي النصوص اليونانية واللاتينية «كانوتا»، حيث ظهر اسمها على النقود التي سكنت منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي، علماً أنّ أصل التسمية آرامي ويعود إلى حوالي الألف الثانية قبل الميلاد.

تحده المدينة من الجهة الغربية سفوح جبل العرب، ومن الشرق وادي الغار. يقطع المدينة شارع شرقي - غربي، يتطابق مع الشارع الرئيس القديم فيقسمها إلى مدينة عليا جنوبية، ومدينة سفلى شمالية، وبنيت المدينة بكاملها بالحجر البازلتني المحلي، ما أعطاها مظهراً فريداً من نوعه.

يعود الاستيطان في المنطقة إلى العصر الحجري الحديث، ثم استمر في العهود اللاحقة حتى العصور العربية الإسلامية، ولكنه شهد انقطاعات من

القرن التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، ما جعل المنطقة خاضعة لسيادة القبائل البدوية المتنقلة، حتى استوطنها من جديد السكان الحاليون القادمون من شمال سورية ولبنان وفلسطين، منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي.

ورد اسم قنوات القديم «كانانا» في كتابات المصريين، وفي مؤلفات المؤرخين القدامى مثل: بلينيوس الأكبر وهيرودكليس، ويبدو اسم «كانانا»، واضحاً على النقود الرومانية في عصر الإمبراطورين كومودوس وإيلغابال، وفي الكتابات المكتشفة في سهل النقرة في حوران.

الأهمية التاريخية

تبرز أهمية مدينة القنوات التاريخية والحضارية كونها انضمت نحو عام 50 قبل الميلاد إلى اتحاد المدن العشر «ديكا بوليس»، وهو ائتلاف كان يجمع عدداً من المدن التجارية وهي: فيلادلفيا، عمان، جرش، إربد، أم قيس، درعا، بيت راس، نابلس، والحصن، وكانت دمشق على رأسها. وقد عدت في ذلك الوقت محطة تجارية هامة على طريق دمشق - بصرى. وعرفت في القرن الأول تطوراً اقتصادياً مهماً في مجال الزراعة، وشغلت في العصر البيزنطي مركزاً أسقفاً ارتبط بانطاكية، وشكلت مركزاً مهماً للحج المسيحي إلى جانب مدينة السويداء. كانت القنوات مدينة هامة جداً، خصوصاً أيام الرومان الذين جعلوها منذ عام 60 قبل الميلاد واحدة من أهم المدن العشر القديمة.

من آثار مدينة القنوات

بدا التنقيب الأثري في مدينة القنوات عام 1960 برئاسة بعثة وطنية كشفت عن مقبرة الأساقفة الواقعة شرق مجموعة الكنائس. وبين عامي 1962 و1965، تم الكشف عن كامل منطقة المعابد والكنائس وملحقاتها. وبين عامي 1997 و2002 نفذت بعثة سورية - ألمانية عدة مواسم تنقيب في عدد من المباني

المكتشفة. معبد الإله تيانديريوس المقام خارج الأسوار والذي يعود إلى القرن الثاني الميلادي، ومعبد حوريات الماء ويعود إلى القرن الثالث الميلادي. وكان من نتائج أعمال التنقيب العثور على لقي مهمة: أوان فخارية وزجاجية، نقود فضية وبرونزية، ورقاقات ذهبية، منحوتات بازلتية، وكتابات يونانية. وفي وادي القنوات تم اكتشاف طبقات تعود إلى العصر العربي الإسلامي، كما عثر على مجموعة من الأقفان الحجرية بطول 60 متراً كانت المياه تأتي بواسطتها لتتمتع بمعبد الحوريات.

أهم الأماكن الأثرية

من أهم آثار مدينة القنوات المعابد الأثرية الخمسة. وأولها «معبد هليوس» الذي كرس لعبادة إله الشمس ويعود بناؤه إلى القرن الثاني الميلادي. كانت له ستة أعمدة في واجهة مدخله، أربعة منها في الخط الأمامي، والعمودان الباقيان في إطار الباب، وهي ذات تيجان زينت بأكاليل من أوراق «الأكانت» ذات الطراز «الكورنثي».

والثاني «معبد زوس» إله السموات، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني الميلادي ويقع في الجزء الجنوبي من المدينة قرب السور. والثالث «معبد أثينا» وهي إلهة الحكمة، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني الميلادي. يقع ضمن مجموعة الكنائس المعروفة بـ«السراي».

والرابع «معبد إلهة المياه»، ويعود تاريخ بنائه إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، خصص لعبادة إلهة المياه، حيث يبقي داخله ملوئاً بالمياه لأشهر عدة وبذلك يستمر تقديس إلهة المياه.

والخامس معبد «الأوديون»، يعود بناؤه إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وهو مسرح صغير الحجم يقع على الضفة الشرقية لوادي «القنوات»، بقيت اليوم منه تسع درجات بعضها محفور في الصخر.

ومن آثارها مدينة القنوات أيضاً «الحمامات القديمة» التي تقع في الجزء السفلي الغربي من المدينة. ويعود تاريخ بنائها إلى بداية القرن الثاني

وزير السياحة السابق
النائب إيلي ماروني
مدير عام مغارة جعينا
د. نبيل حداد
لقابة أصحاب الفنادق
الأمين العام وديع كنعان
رئيس التلفزيون
المهندس جو بولس

المنبر

إعداد وتقديم
كريم الجميل
الأربعاء 21.45
OTV

